المنهج الإسلامي
في تدريس علم الأجرام

اعداد

دكتور

علي حسن الشرفي

أستاذ مساعد القانون الجنائي

بكلية الشريعة والقانون - جامعة صنعاء

ووكيل المعهد العالي لضباط الشرطة

المنهج الاسلامى فى تدريس علم الاجرام

مقـــدمة :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا اله الا الله ولـى المؤمنين ، وأشـهد أن محمـدا عبـد الله ورسـوله ، فصلوات ربى وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ٠

أما بعد : فان من المعلوم أن الجريمة ليست الا عرضا حادثا ، كان بعد اذ لم يكن ، وكل عارض حادث انما يقع بأسباب ، فمن المعلوم أن لكل حادث سببا ، وأن الله جلت قدرته قد أقام الأمور وأجراها على أسبابها ٠

وفى مجال السلوك الاجرامى لاتتخلف هذه القاعدة، اذ لاتقع جريمة ، ولاينحرف مجرم الا بأسباب ، ووفق عوامل قد تظهر وقد تخفى ، ولكن خفاءها لايعنـى انعدامها ، وانما يعنى خروجها عن دائرة المعرفـة الانسانية المتاحة ٠

وقد أشكل على الانسان ـ من قبل ومن بعد ـ أمر هذه العوامل وتلك الأسباب ، فراح يبحث عنها لعله يكشف غموضها ويظهر خافيها ٠

ولابد من التسليم ابتداء بتعدد هـذه العـوامل ، وتشابكها على نحو يجعل البحث والحديث عنها هو من الأمور العسيرة ، كما يجعل استقصاءها وحصرهـا وترتيبها بحسب فعاليتها أمرا أشد عسرا ٠

كما أنه لابد من التسليم بأن بحوثا جادة كثيرة قد تناولت هذه المشكلة ، وأن هذه الأبحاث قد نمـت

وتطورت حتى صارت تعرف فى مجال البحث العلمى بأنها نظريات علمية وهى ولا شك تضم قدرا كبيرا من الآراء والأفكار ، ولاشك أنها قد أصابت وأخطأت كالشأن فى سائر العلوم النظرية الاجتهادية ٠

ولكن الأمر الذى لابد من ذكره هنا هو أن كثيرا من تلك الأبحاث ، وهذه النظريات قد انطلقت فى بحثها لعوامل السلوك الاجرامى من مفترضات قد لايصدقها الواقع ، ولايقرها الشرع ، فجاءت نتائجها مائلة عن الصواب بقدر ميلها عن واقع الحال وعن مقتضيات الشرع ٠

والأمر الذى يحتاج الى تأمل هو أن كثيرا من العلماء المسلمين من قبل قد تناولوا قضية السلوك الانسانى بشىء من الدراسة ، فحرروا دراسات جادة يمكن الاعتماد عليها فى مجال البحث العلمى عن عوامل السلوك الاجرامى ٠ كما أن أمرا آخر يحتاج الى تأمل أيضا وهو أن الدراسات الحديثة فى هذا المجال قد خلت - أو كادت - من التوجه ذى النزعة الاسلامية واعتمدت على أبحاث ودراسات وضعية هى فى أغلب حالاتها مناقضة للمسلمات الشرعية ، ومخالفة لقواعد الدين الاسلامى ، أو أنها - فى أفضل حالاتها - خالية من الروح الاسلامية ، فهى بمعزل عنها ٠

ونعتقد بأنه قد آن الأوان لاجراء دراسات جادة لعوامل السلوك الاجرامى على ضوء مبادىء الشريعة

الاسلامية وقواعد أحكامها وأصول منهاجها ٠ وذلك للأسباب التالية :

١ - أن المنهج الاسلامى قد جعل قضية السلوك من أشد القضايا أهمية ، اذ أنها محور نشاطه ، وميدان عمله حتى لكأن ذلك هو الدين كله أو الاسلام كله ، اذ جاء فى الحديث «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » (١) ٠

٢ - أن التوجيهات الجادة نحو العودة الى قواعد الاسلام وأحكامه قد جعلت الاهتمام عظيما بتلمس منهج الشريعة الاسلامية فى كل أمر من أمور الحياة ومن أعظم تلك الأمور أمر السلوك الاجرامى وعوامل وقوعه ٠

٣ - وأخيرا فان المنهج الاسلامى يقدم معالجة صحيحة ، لمشكلة السلوك الاجرامى ، بحيث يمكن بناء نظرية متكاملة لحل المشكلة على ضوء ذلك المنهج ٠

---

(١) وهذا هو لفظ الحديث فى صحيح مسلم ج ١ ص ٣٧ ٠

وفى البخارى عن أبى موسى قال : قالوا يا رسول الله أى الاسلام أفضل قال : «من سلم المسلمون من لسانه ويده » ٠

وجاء فى شرح ابن حجر العسقلانى (فتح البارى) أن معنى السؤال هو أى ذوى الاسلام أفضل ، فكان الجواب : «من سلم المسلمون ٠٠٠» ٠

ويؤيد رواية مسلم : أى المسلمين أفضل ؟

(يراجع فتح البارى ، ج١ ص ٧١ ، صحيح مسلم ج١ ص ٣٧ ، وفى صحيح مسلم أيضا - ج١ ص ٧٣ - : عن أنس رضى الله عنه عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : «لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ٠

كل ذلك قد جعل الاهتمام شديدا ببيان خطة المنهج الاسلامى فى الكشف عن عوامل السلوك الاجرامى وفى برنامجه للقضاء على ذلك السلوك ·

ونعتقد بأن الخطوة الأولى فى هذا المجال هى وضع تصور أولى - على الأقل - عن المنهجية الاسلامية فى البحث عن عوامل السلوك الاجرامى ، ثم العمل على بناء نظرية علمية ذات جذور ومرتكزات تتفق مع منهج الاسلام · وهذه النظرية لن تكون فى كل جوانبها ابتداعا وابتكارا وانما هى بناء على ماقدمه المهتمون فى هذا الميدان ، ان كان فيما قدموه حجة ، ثم تصحيحا لما قدمه هؤلاء ان كان لايستقيم الا بذلك ، ثم اتمام البناء وذلك بسد النقص والقصور ·

ولا أدعى أننى فى هذه الاشارة السريعة أستطيع أن أفعل كل ذلك ولكنى أردت بهذا مجرد الاشارة الى أهمية بناء النظرية الاسلامية ، ثم أردت الاسهام برسم بعض الخطوط العامة فى بناء هذه النظرية ، وأخيرا فقد قصدت الى تنبيه الباحثين الى هذا الميدان الواسع ، لعلهم يدخلونه ، ورجوت أن يكون فعلى هذا دعوة لهم ، واستنهاضا لهممهم والله المستعان ، ولكل مجتهد نصيب ·

تقسيم :

يبدو أن وضع الخطة المناسبة يقتضى التعقيب على ماسبق من الخطط ، وفى مجال هذه الدراسة لابد لتحصيل الدقة فيها من الاشارة الى ما سبقها من

الدراسات لسبر أغوارها ، ثم البناء عليها أو على أنقاضها · ومن ثم فاننا سنجعل الحديث فى هذا الموضوع مشتملا على شقين :

الشق الأول : عرض أهم النظريات التى سادت فى علم الاجرام باعتبارها محاولات لتفسير السلوك الاجرامى ، وهذا يقتضى بيان الأصول التى قامت عليها كل نظرية على حده ثم تقديرها من الناحية الشرعية ·

الشق الثانى عرض أصول النظرية الاسلامية التى نرى تفسير السلوك الاجرامى على أسسها وسيكون كل ذلك فى مبحثين : -

المبحث الأول
عرض أهم النظريات
التى سادت فى علم الاجرام

لقد حاول الباحثون فى ميدان علم الاجرام استقصاء عوامل السلوك لاجرامى واستبيان مراتبها وآثارها فى ظاهرة الجريمة ، كل ذلك طمعا فى معالجة تلك الظاهرة ووقاية المجتمعات البشرية من مخاطرها ،وقد تعددت اتجاهات الباحثين فى هذا الصدد فولى كل فريق وجهة نحو جهة معينة ، ولايمكن فى هذه الاشارة الموجزة الاحاطة بكل تلك الاتجاهات ، ولكن الممكن هو الاقتصار على أبرز تلك الاتجاهات ، ويمكن اجمالها فى نظريتين :

الأولى : ترى أن عوامل السلوك الاجرامى تكمن

بين عناصر البناء العضوى للانسان المجرم .

الثانية : ترى تلك العوامل كامنة بين مكونات البناء النفسى لذلك الانسان .

وسوف نورد هنا عرضا سريعا لأصول الفكرة التى تقوم عليها كل نظرية (١) ، ثم نعقب عليها بما يكشف عن وجهة الصواب فيها ووجة الخطأ وفقا لما نـــراه مطابقا للمنهج الاسلامى ، وذلك فى مطلبين :

المطلب الأول

التفسير العضوى لعوامل السلوك الاجرامى

أولا : عرض أصول النظرية :

ظهر عدد من البحوث العلمية تطورت أخيرا حتـــى صارت مذاهب تسمى «نظريات علمية» وهى تحـاول جميعا تفسير السلوك الاجرامى بأنه أثر مباشر أو غير مباشر لتكوينات عضوية غير سوية .

وكان من أشهر هذه البحوث ماقدمه أقطاب المدرسة الوضعية الايطالية التى ظهرت أفكارها فى الربـــع الأخير من القرن التاسع عشر ، وكان من اشهرهـم

(١) هناك نظرية ثالثة ترجع عوامل السلوك الاجرامى الى أسباب اجتماعية ، ونحن هنا لانرى لهذه النظرية محلا ، وذلك لأننا انما نتحدث - هنا - عن أصول تلك العوامل ، وهـذه الأصـــول انما تلتمس فى ذات الانسان لانها يحيط به ، وهذه الذات هى المادة أو النفس ، فكان المناسب لهذه الاشارة الموجزة أن نقف عند النظريتين العضوية والنفسية ، ثم تأتي مناسبة الحديث عن العوامل الاجتماعية باعتبارها أسبابا تزيد فى التوجة نحو الجريمة عند وجود الاستعداد الذاتى لذلك التوجه .

الطبيب الايطالى «شيزارى لمبروزو» (٢) وقد درس هذا وأمثاله انعكاسات التكوين العضوى على الســـلوك واستقر رأيهم بعد تأمل وتحر - على أن الانســـان المجرم هو شخص يتميز بصفات جسمانية تجعله شبيها بالانسان القديم الذى عاش متوحشا فى العصـــور الغابرة ، فهو صورة مرتدة الى الانسان البدائى يحمل صفاته ويحمل طباعه (٣) .

وقد كان لمبروزو أكثر الباحثين فى هذا الميـــدان تفصيلا وبيانا لتلك الصفات الجسمانية ، وكان أبرزها تلك الصفة التى وجدها عند تشريح جثة أحد المجرمين العتاة اذ وجد فراغا فى مؤخرة الجبهة يشبه ذلك الذى يوجد لدى القردة ، وقد أطلق لمبروزو على كل تلـك الصفات اسم «وصمات الانحلال» (٤) .

(٢) كان لمبروزو (١٨٣٥ - ١٩٠٩) طبيبا فى الجيش الايطالى ، وقد ساعده عمله هذا على القيام بعدد من الأبحاث على عـــدد من المجـــرمين الأسوياء والشواذ ، الأحياء منهم والأموات - فقد بحث نحوا من ٣٨٣ جمجمة للمجرمين بعد موتهم ، وفحص نحوا من ستة الاف من المجرمين الاحيـــاء فخلص من كل ذلك الى وضع نظريته المشهورة عن الانسان المجرم .

(يراجع أستاذنا الدكتور / حسنين عبيد ، الوجيز فى علم الاجرام وعلم العقاب ص ٣٦ ، ٣٧ والدكتور / عبد الأحد جمـــال الدين : الاتجاهـــات الانتربولوجية في تفسير الظاهرة الاجرامية ، بحث منشور في مجلة العلوم القانونية والاقتصادية ، السنة الحادية عشرة ، العدد الثانى ، يوليـــو ١٩٦٩ ص ٧١٢) .

(٣) يراجع الموضوع بتوسع فى مؤلف على الشرفى ، الباعث واثره في المسئولية الجنائية ص ٩٠ وما بعدها .

(٤) يراجع فى بيان تلك الصفات : أستاذنا الدكتور / محمود نجيب

ثانيا : تقدير هذه النظرية

تعرضت هذه النظرية لانتقادات شديدة كشفت عن أنها ليست قائمة على أساس علمي وأنها لاتقدم تفسيرا صحيحا لعوامل السلوك الاجرامي ٠

وقد كان الأساس الذى انطلق منه الباحثون فى نقد هذه النظرية هو الأساس العلمى ، ناظرين اليها من ناحية مدى قدرتها على تفسير السلوك الاجرامى ، فكان منهجهم متجها الى نفى الصفة العلمية عن هذه النظرية ، دون أن يحاول أى منهم توجيه النقد الى الأصول التى تقوم عليها ، للكشف عن الأساس الفاسد الذى بنيت عليه ٠

فهى ابتداء تقوم على افتراض غير علمى وغير واقعى اذ نفترض أن الانسان الأول الذى عاش على هذه الأرض فى الزمن الغابر قد كان غير سوى فى طباعه ونزعاته وميوله ٠

وهذه الفكرة تستند ابتداء الى افتراض باطل من ناحية العقل والنقل ، وذلك هو افتراض التطور الآدمى القائم على فكرة النشوء والارتقاء تلك الفكرة التى وصفت بأنها نظرية علمية وهى لم تزد على كونها فى

حسنى ، دروس في الاجرام ، ص ٣٠ والدكتور / عوض محمد ، مبادىء علم الاجرام ص ٧٨ ، ٧٩ والدكتور / جلال ثروت ، الظاهرة الاجرامية ص ٧٥ والدكتور / أحمد خليفة ، مقدمة في دراسة السلوك الاجرامى ج ١ ص ٤٧ والدكتور / عبد الأحد جمال الدين ، المرجع السابق ص ٧١٢ - ٧١٤ ٠ واستاذنا الدكتور / حسنين عبيد المرجع السابق ص ٣٧ ٠

أحسن حالاتها - فرضا علميا (٥) - وهى تعنى أن الانسان القديم هو انسان متخلف عقليا ، ومتوحش سلوكيا وأنه يمثل ارتدادا الى عصور ما قبل التاريخ (٦) ٠ وأنه كان بربريا ، وهذه الأوصاف اذ نسبت الى الانسان القديم تشير فى جملتها الى أن ذلك الانسان المتصف بها قد كان يومئذ بسبيل الوصول للمرتبة الآدمية التى وصل اليها لتوه بعد تجاوز المرحلة السابقة لها وهى مرحلة البهائم التى تطور منها بفعل عوامل النشوء والارتقاء التى قال بها داروين فى نظريته الشهيرة ٠

وان ذلك الانسان بحسب هذه النظرية كان يومئذ قد اكتسب كثيرا من صفات الانسان الا أنه لم يتخلص بعد من كل صفات المرحلة السابقة التى ترقى منها الى المرحلة الآدمية ٠

وقد استند لمبروزو الى الفكرة الدارونية فى بناء

---

(٥) مذ المعلوم أن هناك ثلاث مراتب فى مجال البحث العلمى هي :

(أ) مرتبة الفرض العلمي وهي أولى المراتب وتعني أن قضية ما قابلة للبحث لوجود شواهد تؤيدها ٠

(ب) مرتبة النظرية العلمية وهى تعنى أن ما كان فرضا قد صار مؤيدا بعدد كبير من الشواهد الى حد جعله أقرب الى الحقيقة منه الى الافتراض ٠

(ج) مرتبة الحقيقة العلمية وهى تعنى أن ذلك الامر قد صار مؤكدا اذ ثبت بأنه يفسر جميع الظواهر التى يتعرض لها وأنه يصدق عليها جميعا بلا استثناء ٠

(٦) يراجع أستاذنا الدكتور / حسنين عبيد ، المرجع السابق ص ٣٧ والدكتور / عبد الأحد جمال الدين ، المرجع السابق ص ٧١٤ ٠

نظريته عن الانسان المجرم استنادا مباشرا . ودليل ذلك قوله : أن الانسان المجرم الحاضر ليس الا نموذجا للانسان القديم بحيث أنه يحمل صفاته الجسمانية التى كان من أشدها وضوحا وعمقا تلك الصفة التى عثر عليها لدى أحد المجرمين العتاة وهى المتمثلة فى وجود فراغ فى مؤخرة الجبهة يشبه ذلك الذى يوجد لدى القردة .

ومعلوم أن استناد هذه النظرية الى فكرة النشوء والارتقاء هو أمر يضاد الفكر الاسلامى فى أبرز أصوله ، وهو أصل المنشأ الأول المباشر لأول انسان وجد على وجه الأرض وهو نبى الله آدم - عليه السلام - اذ خلقه ربه ابتداء وأهبطه الى الأرض مباشرة على هيئة سوية غاية الاستواء .

ثم ان افتراض كون الانسان القديم قد عاش متوحشا بربريا هو افتراض غير صحيح ، لا باستناده الى فكرة النشوء والارتقاء فحسب ، وانما بمخالفته لواقع التاريخ لاسلامى .

فالتاريخ الاسلامى - كما أشار اليه القرآن الكريم - يؤكد أن الانسان ظل تحت عناية الله ورعايته وتوجيهه منذ أن لامست قدماه هذه الأرض ، وأنه لم يترك بعيدا عن التوجيه والهداية ، ولم يهمل ، وذلك هو مقتضى قول الله سبحانه وتعالى : (قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم

ولا هم يحزنون) (٧) .

وفى آية أخرى (فمن اتبع هداى فلا يضل ولايشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) (٨) .

ثم قوله تعالى : (وان من أمة الا خلا فيها نذير)(٩) .

فمقتضى هذه الآيات يؤكد أن الانسان القديم والحديث قد كان ولايزال محميا بالهدى ومحروسا بالشرائع ، وأن ماوصف به من صفات التخلف العضوى أو العقلى أو السلوكى هو افتراء عليه وهو مضاد للفكر الاسلامى فى مجال المنشأ والتوجيه ، وأنه رأى مستند الى فكرة الحادية باطلة .

وقد يكون من المناسب هنا أن نذكر أن الانسان الذى عاش قديما على هذه الأرض قد كان على حالة هى أقل شأنا مما عليه الانسان اليوم الا أن ذلك قاصر على ميدان الابداع فى مجال الوسائل وما يلزم لها من الأساليب ، ومايرتبط بها من الأفكار والاتجاهات وما تنشأ عنه وما ينشأ عنها من الثقافات والعادات وأساليب العيش ، ولايمكن أن يمتد الى مجال الصفات

(٧) سورة البقرة الآية رقم ٣٨ .
وقد جاء فى تفسير ابن كثير أن المراد بالهدى : ارسال الرسل بالبينات والبيان ، وفى تفسير القرطبى : الهدى يعنى التوفيق للهداية .
يراجع على التوالي : ابن كثير ج١ ص ٨٣ والقرطبي ج١ ص ٢٧٩ .
(٨) سورة طه آية رقم ١٢٣ .
(٩) سورة فاطر الآية رقم ٢٤ .

العضوية أو الأصول العقلية ، أو الطباع الأساسية الفطرية (١٠) .

المطلب الثانى

التفسير النفسى لعوامل السلوك الاجرامى

أولا : عرض النظرية

تقوم نظرية التفسير النفسى لعوامل السلوك الاجرامى على مذهبين :

مذهب التحليل النفسى الذى نادى به فرويد (١١) ومذهب العوامل النفسية الذى ذهب اليه كثير من الباحثين .

ووفق المذهب الأول :

فان لدى الانسان ثلاث من القوى النفسية هى :

١ ـ قوة الغرائز والنزعات الفطرية وهى تميل بالانسان نحو الاشباع الكامل والمفرط لكافة الغرائز

(١٠) ومع ذلك فقد أشارت آيات القرآن الكريم الى بعض مآثر الأقدمين، فوصفتها بما يدل على عظمتها ، ومن ذلك ماجاء فى وصف قوم عاد ، اذ قال الله تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد) (سورة الفجر الآية رقم ٦ ـ ٨) كما قال تعالى على لسان نبي الله هود وهو يخاطب قومه (أتبنون بكل ريع آية تعبثون ، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ، واذا بطشتم بطشتم جبارين) (سورة الشعراء آيات رقم ١٢٨ ـ ١٣٠) .

(١١) وهو يهودى تشيكوسلوفاكى توفى عام ١٩٣٩ م .

دون اعتبار أو مراعاة للقيم والمثل والنظم بل ودون مراعاة للمنفعة الحقيقية التى يحققها ذلك الاشباع .

٢ ـ وقوة النفس الوسيطة التى تنمو مع نمو الانسان وتعمل على التوفيق بين مطالب الغرائز والاحتياجات الحقيقية للشخص وهى مايمكن تسميته بالعقل .

٣ ـ قوة النفس العليا وهى تمثل قمة الادراك للحقيقة والمنفعة وهى تعمل على الحد من غلواء الغرائز فتجعل السلوك موافقا لمقتضيات الأخلاق والنظم ، وهى مايمكن تسميته بالضمير (١٢) .

وبحسب هذا المذهب فان السلوك الاجرامى يحدث اذا تغلبت القوة الأولى على القوتين الأخريين ، اذ يحصل اندفاع غريزى فيفرط الشخص ويغرق فى اشباع غرائزه على نحو يضر به ويضر بغيره .

ومن الغرائز التى تندفع بشدة غريزة الهدم (١٣) وغريزة الحب التى تعنى حفظ الذات وحفظ النوع (١٤) .

وبحسب هذا المذهب أيضا فان حسن السياسة تقتضى عدم التصدى لهذه الغرائز بشدة ، خشية أن

(١٢) سيجموند فرويد ، معالم التحليل النفسي ، ترجمة الدكتور / محمد عثمان نجاتي ، ط ٥ ، دار الشروق ، ص ٤٦ ـ ٤٨ .

(١٣) فرويد ، المرجع السابق / ص ٥٠ والدكتور / مصطفى فهمى ، الدوافع النفسية ص ٨٥ .

(١٤) فرويد ص ٥٠ ومصطفى فهمى ص ٥ ـ ٧ .

يفضى ذلك الى الكبت ويؤدى الأمر بعد ذلك الى سلوك سبيل الجريمة ، ولذا فقد نادى فرويد بالاباحية الجنسية بصفة خاصة عن طريق ما أسماه «الاعلاء» وذلك باسباغ صفة الشرعية على ذلك الاشباع ليتمكن الانسان من ارواء غريزة الحب بيسر وسهولة والا فان الأمر قد يدفع الشخص الى مقارفة الجرائم الجنسية وغيرها .

أما المذهب الثانى وهو مذهب العوامل النفسية :

ويرى أصحاب هذا المذهب أن الانفعالات والعواطف هى محور التحريك نحو السلوك ، وذلك لما تحدثه من اختلال فى التوازن الذى هو سائد فى الجسم ، اذ تتعطل أجهزة التوجيه والتبصر وتسيطر العاطفة أو الهوى فتقع الجريمة (١٥) .

ثانيا : تقدير هذه النظرية :

لاشك أن لدى الانسان ميلا نحو الاشباع المفرط للمطالب الغريزية الفطرية ، ولاشك أن للعقل والضمير دورا بارزا فى تحقيق الاعتدال ، كما أنه مما لاشك فيه أن للانفعالات والعواطف - وهى أمور طارئة ذات أصول ثابتة فى النفس - دورا بارزا فى اضعاف قوتى

(١٥) يراجع فى هذا المعنى الدكتور / يوسف مراد ، مبادىء علم النفس ، ص ١١٥ والدكتور محمد صفوت سليمان ، الطب الشرعي ، بحث منشور بمجلة العدالة - الامارات العربية - السنة ٩ العدد ٣٣ أكتوبر ١٩٨٢ ص ٥٥ ويراجع هذا المذهب بتوسع فى كتاب على الشرفى ، المرجع السابق ص ٧٦ ومابعدها .

العقل والضمير ، وذلك لما تحدثه من خلل فى التوازن الطبيعى القائم فى الجسم .

ولكن فكرة «الاعلاء» التى أشار اليها فرويد انما هى دعوة ظاهرة الى اباحة بعض المحظورات وذلك باسباغ صفة الشرعية عليها ليتيسر اقترافها دون خوف أو وجل كل ذلك تحت تبرير له صيغة علمية وهو خشية التحول الى الاشباع المصحوب بالجريمة ، وذلك تحت مقولة أن الكبت والحرمان هو بوابة الجريمة ، وهو الأساس فى بناء النفس الميالة نحو الاجرام وهى فكرة قال بها فرويد خدمة لاتجاهه اليهودى الداعى الى الرذيلة والفحش .

وماعدا ذلك فان الخط الذى سارت عليه النظرية النفسية فى تفسير السلوك الاجرامى هو خط يوافق ماذهب اليه العلماء المسلمون فهم يرون أن الله سبحانه وتعالى قد خلق فى الانسان قوتين هما قوة النفس وقوة العقل (١٦) .

ويتوقف نشاط النفس وقدرتها فى استهواء الانسان على مايتمتع به العقل من قوة ، ومايجد لدى صاحبه

(١٦) ذكر الامام الدهلوى - فى كتابه حجة الله البالغة ج٢ ص٨٨ ، ٨٩ أن فى الانسان ثلاث لطائف هي العقل والقلب والنفس ، فالعقل هو الشيء الذى يدرك بالحواس ، ومن صفاته وأفعاله اليقين والشك والتفكير ، وأما القلب فهو الذى به يحب الانسان ويبغض ، وأما النفس فهى الشيء الذى به يشتهى الانسان ما يستلذه من المطاعم والمشارب والمناكح ، ومن صفاتها : الشرة والشبق ، ونحو ذلك .

من احترام وتقدير ، فالحكيم هو الذى يجعل لعقله سلطانا على نفسه ، ولا يكون عنده العكس ممكنا والجاهل الأحمق هو الذى يطلق لنفسه العنان بحيث اذا سمع نداءها انبعث على الفور فى خدمته واحضار شهوته (١٧) فيكون ذلك منزلقا الى ميدان الجريمة(١٨) .

المبحث الثانى

عرض أصول النظرية الاسلامية

فى تفسير السلوك الاجرامى

تقوم النظرية الاسلامية على مسلمات منهجية ، ومذكرات واقعية هى فى جملتها تمثل أصولا علمية وعملية يصح على أساسها وضع التفسير الصحيح لعوامل السلوك الاجرامى ووضع الخطة الناجحة لمكافحته ومنعه وهذه الأصول هى :

الأصل الأول : التأكيد على أن الأصل فى الانسان هو الفطرة السوية ، ويمثل هذا الأصل نقطة البداية فى دراسة السلوك الانسانى من حيث أسبابه

(١٧) احياء علوم الدين للامام أبى حامد الغزالى ج٣ ص ١١ .

(١٨) وفى هذا المعنى ذكر الامام السخاوى حديث : «أصل كل داء الرضا عن النفس» ونسبه الى كلام السلف ، ومثله ما ورد على لسان القشيرى «آفة العبد رضاه عن نفسه بما هو فيه» ومثله قول : ذى النون «علامة الاصابة مخالفة النفس والهوى» ثم ذكر حديث محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعا «أخوف ما أخاف على أمتى اتباع الهوى» .

(يراجع كتاب المقاصد الحسنة للسخاوى ص ٦٢) .

واتجاهاته ، فهو يعنى أن الانسان مجبول أصلا على الخير ومفطور على الاستقامة ، وهذا الحكم مأخوذ من قول النبى - صلى الله عليه وسلم - «كل مولود يولد على الفطرة» (١) فالأصل هكذا «على الفطرة لا على الانحراف» .

ومعلوم أن هذا الأصل لايساوى العصمة التامة من الزلل ، ولايعنى الجبر التام فى التوجه صوب الخير على نحو يجعل الانسان على شاكلة الملائكة وكل مايعنيه هذا الأصل هو أن الانسان ينشأ صالحا مالم يجد من المؤثرات مايصرفه عن حالة الصلاح . والاستناد الى هذا الأصل يوفر عددا من النتائج فى مجال السياسة الجنائية هى :

١ - أن ذلك الأصل يدحض الافتراض القائل بوجود مجرمين بالميلاد ، اذ لايمكن قبول ذلك الافتراض بعد التسليم بهذا الأصل ، وهذا أمر لاتخفى فوائده ، وذلك أن افتراض الانحراف الفطرى يبعث على اليأس ، فيمنع المجرم من محاولة التوبة ويمنع القائمين على أمر السياسة الجنائية من محاولة اعمال البرامج الاصلاحية على هذا النوع من المجرمين ، بالاضافة الى أن ذلك يجعل العقاب الجنائى غير عادل ، لأن الجانى

(١) رواه البخارى ومسلم ، من حديث أبي هريرة رضى الله عنه ، (فتح البارى ، بشرح صحيح البخارى ، ج٣ ، ص ٢٩٠ ، رقم الحديث ١٣٨٥ ، وصحيح مسلم ، ج٢ ، ص ٤٥٨ ، وشرح النووى ، المجلد الثامن، ج١٦ ص ٢٠٧ ومابعدها) .

لم يذنب اذ هو مجبول على ذلك السلوك الذى قارفه(٢) .

٢ - أن ذلك يوجه السياسة الجنائية الى الحفاظ على هذا الأصل فى الانسان والعمل على ابعاده عن العوامل التى قد تفسده .

فالأمر هنا لايحتاج أكثر من امعان النظر فى عوامل التأثير ، وهى عوامل يمكن ادراكها أو توقعها ، ثم العمل على ابعاد الانسان عنها ، ليظل على أصله السوى المستقيم ، وهو ما أكده المنهج الاسلامى ، اذ منع الاقتراب من عوامل افساده ، وسد الذرائع الموصلة اليه (٣) .

٣ - أن ذلك يؤكد أن الاصلاح والتقويم هو أمر ممكن ، وأن بذرة الخير تظل أصلا كامنا فى كل نفس مهما يبلغ عتوها وشرها ، وأن ذلك الاصلاح سهل المنال ، اذ لايكلف أكثر من احكام الخطة اللازمة لعملية الاعادة الى الأصل .

ويكون معنى ذلك أن المجرم - حالة اجرامه - انما

(٢) وهذا هو المذهب الذى اعتنقه أنصار النظرية الوضعية التي تقوم على فكرة المجرم بالميلاد .

(٣) وذلك هو مقتضى قول الحق تبارك وتعالى «ولاتقربوا الزنا» سورة الاسراء الآية رقم ٣٢ ، وقوله تعالى (ولاتقربوا الفواحش ما ظهر منها ومابطن) سورة الانعام ، الآية رقم ١٥١ .
وقد جاء فى التفسير أن الله نهى عباده عن الزنا وعن مقاربته ومخالطة أسبابه ودواعيه (ابن كثير ، ج٣ ص ٣٩) ، وقال القرطبي : ان قول الله تعالى : (ولاتقربوا الزنا) أبلغ من أن يقول : ولاتزنوا فان معناه : ولا تدنو من الزنا (الجامع لأحكام القرآن ، ج٦ ص ٣٨٦٩) .

يكون على وضع استثنائى وأنه أقرب الى الصلاح والاستقامة منه الى البقاء على ذلك الوضع الاستثنائى الغريب على الفطرة . ومن ثم فانه لايحتاج الا الى شىء من العون ليتجاوز حالة الانحرافات التى هو عليها ويعود الى الأصل الذى فطره الله عليه .

وهذا يعنى أن رصيد الفطرة سيكون الى جانب الاجراءات الوقائية والعلاجية ، يقويها ، ويضاعف أثرها ، ولايقف ضدها .

الأصل الثانى : التأكيد على غريزة حب الذات ثم توظيفها :

مما لاشك فيه أن الخالق جل وعلا قد ركب فى طبع الانسان حب الذات وجبله على حب اجترار المنافع لنفسه ، وغرز فيه الحرص على جلب المصالح به ، فكانت مشيئة الله التى جرت على هذا النحو هى تأكيد لذات الانسان وتعزيز لدوره الذى ارتضاه خالقه له ، وهو دور الخلافة على وجه الأرض ، اذ بدون تلك الصفة لابد أن يخمد نشاطه ، وتركد حياته ويتوقف دوره ، ويغيب أثره .

والأصل فى الانسان - بحسب هذه الفطرة - هو الميل الشديد نحو الاشباع المفرط لمطالب الذات ، وهذا هو مقتضى قول الحق تبارك وتعالى فى وصف حال الانسان (وانه لحب الخير لشديد) (٤) أى أنه شديد

(٤) سورة العاديات آية رقم ٨ .

الميل لكل مايراه خيرا لذاته (٥) .

وهذه الغريزة من الناحية الواقعية ذات وجهين : أحدهما نافع والآخر ضار فأما النافع فهو أنها قوام الحركة والتأثير وأداة الاعمار والاستخلاف في الأرض، اذ لولاها لما قامت للانسان همة ولا انطلقت له غريزة ولكان فى عداد الموتى ، أو قريبا من حالهم .

وأما الوجه الضار فهو أنها قد تجر الى الطغيان والظلم ، فتكون عاملا من عوامل الصراع والنزاع بين أفراد الانسان ، وذلك لانعدام التناسب بين المطامع الذاتية المنطلقة من تلك الغريزة وهى مطامع لايحدها شىء (٦) وبين المنافع والأغراض المتوافرة فى واقع الحياة ، فالأولى غير متناهية فى حين أن الثانية

(٥) وقيل ان المقصود بالخير هنا : المال فيكون معنى ذلك أن الانسان شديد التعلق بالمال والولوع بجمعه (يراجع : الجامع لأحكام القرآن للقرطبى مجلد ٢٠ ص ١٦٢ والبحر المحيط ج٨ ص ٥٠٥ وتفسير ابن كثير ج٤ ص ٥٤٣) .

ومعلوم أن هذه الطبيعة التى يؤكدها الاصل الثانى لاتناقض ماسبق التأكيد عليه في الأصل الأول وهو أن الأصل في الانسان استقامة الفطرة ، اذ أن تلك الاستقامة لاتمنع حب الذات اذ أن ذلك الحب هو بعض جوانب الاستقامة .

(٦) وهذا ما أكده حديث النبى - صلى الله عليه وسلم - « لايملأ جوف ابن آدم الا التراب» . رواه البخارى ومسلم ، والنص الكامل للحديث هو «لو أن ابن آدم أعطى واديا ملآن من ذهب أحب اليه ثانيا ، ولو أعطى ثانيا أحب اليه ثالثا ، ولايسد جوف ابن آدم الا التراب ، ويتوب الله على من تاب» وفى رواية : «ولا يملأ جوف ابن آدم» . (يراجع فتح البارى ، ج١١ ص ٢٥٨ ، ٢٦٠ وصحيح مسلم ، ج١ ص ٤١٧) .

محدودة معدودة وان كثرت - وهذا أمر يثير الخلاف بين أفراد الانسان ، على نحو يجر الى الصراع والاقتتال ، ويدعو الى الخروج عن قواعد السلوك المستقيم ، فتحدث الجرائم .

التوظيف السليم لغريزة حب الذات :

لقد تناول المنهج الاسلامى هذه الغريزة فوظف جانبها النافع فى مجال الاستخلاف على وجه الأرض، اذ منع التبتل والانقطاع (٧) ، ورغب فى العمل والكسب وحث عليه ، ولكنه من جهة أخرى كف الضرر الذى قد يجر اليه الجانب الآخر من تلك الغريزة ، وكان ذلك عن طريق ربط الدنيا بالآخرة فى حس المؤمن فوسع بذلك ميدان الاشباع الأمثل لغريزة حب الذات .

فكانت خطة المنهج الاسلامى قائمة على أساس التأكيد على وجود هذه الغريزة وذلك لاستغلال جانب النفع فيها ، وفى ذات الواقع فقد جعل ذلك المنهج

(٧) فقد جاء فى الحديث أن ثلاثة نفر أتوا يسألون عن عبادة النبى - صلى الله عليه وسلم - فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : واين نحن من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟ فقال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبدا ، وقال آخر وأنا أصوم الدهر ولا افطر ، وقال آخر وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : «أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى» . حديث صحيح ، رواه البخارى ومسلم ، (يراجع فتح البارى ، ج٩ ، ص ٥ ، ٦ . صحيح مسلم ، ج ١ ص ٥٨٤) .

الميدان المناسب لاشباعها واسعا فهو يشمل الدنيا والآخرة فكل سعى يسعاه الانسان انما هو اشباع لمطامعه ، غير أن تلك المطامع قد صارت بالتصور الاسلامى أبعد من الدنيا وأوسع منها وأنفع ٠

فمثله فى تأكيد الاشباع الأمثل للرغبات كمثل قوم أقبلوا على دار عامرة زاخرة بكل أصناف المتاع ، وكل ألوان الزينات ، فوجدوها قد أبيحت لهم ، فأعمل كل منهم حيلته وسلاحة وقوته فى جمع ذلك المتاع فاذا بهم يختصمون عليها ويقتتلون فبينما هم كذلك اذ طلع عليهم طالع من أشرافهم يعرفون قدره ويفهمون قوله ويصدقون وعده ، فقال لهم : أم أن ترك مافى يده وانصرف فانه ضمين له بدار عامرة زاخرة بما هو خير مما بين يديه ، لاينازعه فيها أحد فكيف يكون حال القوم وقد صدقوا قوله وتيقنوا من صدق وعده لهم ؟٠

لاشك أن أكثرهم - وهم عقلاء القوم وخيارهم وعامتهم سيتركون مافى أيديهم ، ولكن ذلك الترك ليس كراهة للمتروك ولا زهادة فيه وانما هو طمع فيما سواه مما هو أوفر منه ، أى أنهم لايفعلون ذلك خروجا من طبائعهم المجبولة على حب الذات ، وانما هو تأكيد لتلك الطباع ، اذ غاية مافى الأمر هو أن الانسان العاقل اذا عرضت له منفعتان ، أحدهما قليلة عاجلة والأخرى عظيمة آجلة فانه يؤثر العظيمة الآجلة وذلك لكونه يحب ذاته ويحرص على مصلحتها ، فكان الترغيب فى الأخرى هو تزهيد فى الدنيا وهو تأكيد للذات ٠

ولاشك أن هذا الاسلوب نافع فى خدمة السياسة الجنائية لكونه يصرف كثيرا من الناس عن أبواب الجريمة ، ويذودهم عن حياض المعاصى ، ويوفر الأمن والأمان (٨) فاذا بقى من العصاة من لايفهم القضية على هذا النحو ، أو يفهمها ولكنه يرغب فى استعجال منفعته فان ذلك لايقلل من قيمة تلك الفكرة التى أقام عليها الاسلام منهجه فى خدمة السياسة الجنائية ٠ ثم ان ذلك المنهج قد وضع لهذا الانسان الذى شذ عن الطبيعة السوية جملة من التدابير القائمة على الردع والزجر ٠

وبذلك يبقى المنهج الاسلامى فى مجال الدفاع ضد الجريمة منهجا متميزا بتلك الفكرة العظيمة ٠ ثم أن المنهج الاسلامى قد عزز هذه الفكرة بفكرة أخرى هى التركيز على قوتى العقل والضمير ٠ فالعقل ميزان الاعتدال اذ يشير الى أن الاشباع المفرط للغرائز انما هو شأن البهائم ، وأن الاعتدال هو شأن العقلاء من الناس ، كما أنه يشير الى أن الافراط لابد أن يصحبه انتقاص من حق الآخرين ، فهو قرين الظلم والطغيان ، وذلك كله ليس شأن العقلاء من الناس (٩) ٠

---

(٨) تذكر السيرة أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - كان قد ولى القضاء في المدينة فى خلافة أبى بكر - رضى الله عنه - فلما مرت عليه سنة فى ذلك جاء الى الخليفة يطلب اعفاءه من ذلك العمل ، وقد علل ذلك بأنه لم يختصم اليه اثنان وقال : لقد رضى كل واحد بما قسم الله له وآثر أخاه على نفسه ففيم يختصمون ٠

(٩) روى أبو أمامة أن غلاما شابا أتى النبى - صلى الله عليه وسلم -

وأما الضمير فانه يجعل المرء يشعر فى كل حالاته السرة والعلنية بالرقابة الدائمة من قبل الله سبحانه وتعالى (١٠) .

كما أنه يجعله يشعر بأن عليه من الله حراسا حفاظا يرقبون حركاته وتصرفاته ويرصدونها عليه (١١) .

فاذا استشعر المرء هذه الرقابة (١٢) واستشعر

فقال : يانبى الله تأذن لى فى الزنا فصاح الناس به ، فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - «قربوه ادن» فدنا حتى جلس بين يديه فقال له النبى - صلى الله عليه وسلم - «أتحبه لأمك ؟» فقال لا ، جعلنى الله فداك ، فقال «كذلك الناس لايحبونه لأمهاتهم» «أتحبه لأبنتك ؟» فذكر له الأم والبنت والأخت وهو يرد نفس الرد فوضع النبى - صلى الله عليه وسلم - يده علي صدر الغلام وقال : «اللهم طهر قلبه وحصن فرجه» فلم يكن شيء أبغض اليه من الزنا (الحديث رواه أحمد باسناد جيد ، رجاله رجال الصحيح ، مشار اليه فى أحياء علوم الدين للغزالى رحمه الله ج٢ ص ٣٣٤ ، وفى تفسير ابن كثير ، ج٣ ، ص ٣٩ .

(١٠) فهو يسمع قول الله تعالى : «ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ، مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ، ولاخمسة الا هو سادسهم ، و لاأدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا) (سورة المجادلة الآية رقم ٧) .

(١١) فهو يسمع قول الله تعالى : «وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون» سورة الانفطار الآيات رقم ١٠ - ١٢ ، وقول الله تعالى: (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) سورة ق ، آية رقم ١٨ .

(١٢) يشير الباحثون فى هذا الصدد الي أن العلم الحديث قد اثبت بالدليل أن تصرفات الانسان وأقواله تصور وتسجل على صفحات الأثير، وأن بوسع العلماء التقاط تلك الصور والتسجيلات ولو بعد حين من حدوثها ، وذلك أمر يضاعف الاحساس بشدة الرقابة واحكامها (جاء ذلك فى كتاب «الاسلام يتحدى» لوحيد الدين خان ، أشار اليه أستاذنا الدكتور/ يوسف قاسم «مبادىء الفقه الاسلامي» ص ٤٠) .

معها عظيم الجزاء الذى يدخره الله لعباده المستقيمين على أمره ، فانه لابد أن يكف عن الطمع ، ويمتنع عن الخروج عن أمر الله سبحانه وتعالى ولابد أن يقبل على فعل الخير والمعروف والاحسان ، رجاء الفوز بما عند الله . وهذا هو الأسلوب الأمثل لحل مشكلة الشطط الغريزى ، المنبثق عن غريزة حب الذات .

الأصل الثالث : الاستعداد للتأثر :

ان الله قد أودع فى الانسان مجموعة من الاستعدادات، وجعلها جزء من طبيعته ، وهذه الاستعدادات ليست الا قوة سلبية كالأعضاء الحسية تظل واقفة عن العمل رغم وجودها ، لاتنطلق حتى يطلقها الانسان ولاتفعل حتى ينفعل بها وهى على نوعين ، أحدهما استعداد لسلوك سبيل الخير ، وهو يتجاوب مع مؤثرات الخير، فينشط الأعضاء لتسير فى ركابها ، والآخر استعداد لسلوك سبيل الشر ، فهو يتجاوب مع المؤثرات الداعية الى هذا السبيل ، حتى تنزع بالانسان اليه ، وتسير به نحوه .

وهذا يعنى أن الانسان اذا تعرض لمؤثر من أى نوع مما ذكر فانه يملك الاستجابة له لوجود ميل ذاتى فى أعماقه يتعامل مع ذلك المؤثر . كما أنه اذا تعرض لمؤثرات من كل اتجاه فانه يتردد فى سلوكه بين السبيلين - سبيل الخير وسبيل الشر - فيأتى من الأعمال مايحمد عليه ومايذم ، وذلك بحسب الدواعى

والصوارف التى تتجاذبه وتتعامل مع الاستعدادات الفطرية الكامنة فيه . وهذا هو مقتضى قول الحق تبارك وتعالى : (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) (١٣) .

والالهام يعنى هنا الالزام الفطرى القائم على الفطرة والجبلة (١٤) وذلك لأن الانسان مخلوق مزدوج الطبيعة ، مزدوج الاستعداد فهو فى طبيعة تكوينه مخلوق من عنصرين هما طين الأرض ونفحة الله فيه من روحه فجاء من ذلك مزودا باستعدادات متساوية للخير والشر والهدى والضلال (١٥) وذلك هو أيضا

(١٣) سورة الشمس الآيات رقم ٧ ، ٨ .

(١٤) تفسير القرآن الكريم للخطيب الشربينى ج٤ ص ٥٤٢ والبحر المحيط ج٨ ص ٤٨١ وتفسير ابن كثير ج٤ ص ٥١٧ .

(١٥) الأستاذ المرحوم سيد قطب ، فى ظلال القرآن ، دار الشروق ج٦ ص ٣٩١٧ . وقد ذكر الشيخ أبو القاسم الأصفهانى أن الانسان مركب من نزعتين نزعة علوية تجعله شبيها بالملائكة ونزعة سفلية تجعله شبيها بالبهائم فهو وسط بين جوهرين ، ومن ثم كان أهلا للنزوع الى أى من الاتجاهين ثم أشار الى الحديث المروى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمه فأما لمة الملك فوعد بالخير وتصديق بالحق، وأما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق ، ثم قرأ قول الله تعالى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) سورة البقرة الآية رقم ٢٦٨ ، يراجع كتاب الذريعة الى مكارم الشريعة للشيخ الراغب الأصفهانى ص ٣٠ ، ٤٦ .

والحديث السابق أخرجه الترمذى والنسائى وابن حبان عن ابن مسعود يراجع الجامع الصغير للأسيوطي ج١ ص ٩٧ ويراجع تفسير ابن كثير ج١ ص ٣٢٢ .

مقتضى قول الله تعالى : (وهديناه النجدين) (١٦) .

وقد أفاض بعض العلماء فى بيان هذه الصفة فذكر الامام الدهلوى (١٧) أن للنفس قوتين هما الملكية والقوة البهيمية ، وأن حالهما فى الانسان على وجهين فتارة يجتمعان بالتجاذب وتارة بالتصالح ، وفى حالة التجاذب تعمل كل منهما على الاستبداد بالانسان وتسخيره لمصلحتها ، فاذا غلبت احداهما اضمحل نشاط الأخرى .

وفى حالة التصالح نعملان معا بتعادل فيحصل مزاج معتدل من غير افراط ولاتفريط . ثم ذكر أن القوة الملكية هى جوهر الفطرة الأصلية التى هى انبثاق من النفحة التى أودعها الله هذا الانسان فقامت بها آدميته ، وأن القوة البهيمية هى الطبع الحيوانى القائم على دواعى الأكل والشرب والنكاح ، وأن هذا الطبع هو أهم الحجب التى تمنع ظهور الفطرة اذا ما استحكم

(١٦) سورة البلد الآية رقم ١٠ .

وقد قال العلماء فى تفسير هذه الآية أن النجدين هما طريق الخير وطريق البشر ، ثم ذكروا الحديث الذى رواه قتادة . قال ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم - كان يقول «أيها الناس انما هما النجدان نجد الخير ونجد الشر فلم تجعل نجد الشر أحب اليك من نجد الخير» يراجع تفسير القرطبى ج٢٠ ص ٥٦ وتفسير ابن كثير ج٤ ص ٥١٣ .

وقد ذكر الاصفهانى أن النجدين المذكورين هما العقل والهوى (الذريعة الي مكارم الشريعة ص ٣٠) .

(١٧) حجة الله البالغة للدهلوى ج١ ص ٢٦ ومثله فى علوم الدين الغزالى ج٣ ص ٨٠ وكذا في مدارج السالكين لابن القيم ج١ ص ١٢٠ ، ١٢١ .

امره ، ومن ثم فقد يتمخض الانسان للبهيمية اذا هو أفرط فى اتباع هوى نفسه (١٨) ٠

تفاوت درجات الاستعداد :

بعد التأكيد على أن الطبع البشرى يضم استعدادين ينزع كل منهما بالانسان الى اتجاه يضاد الآخر ، لابد من التأكيد على أن ذلك لايعنى بالضرورة التساوى التام بين الاستعدادين فى قوة النزع الخاصة بكل منهما ، بل قد يحصل تفاوت واضح فيهما من شخص الى آخر ، ليس ذلك فحسب ، بل قد يتسع ذلك التفاوت أو يضيق فى الشخص الواحد من وقت الى آخر ٠ ولا شك أن هناك من العوامل مايساعد على وجود ذلك التفاوت وما يساعد على اتساعه أو ضيقه ٠ ونرى أن من أبرز تلك العوامل عامل الوراثة ، وعامل البيئة ، وعامل الثقافة ، وغيرها ٠

ونحن لن نستعرض هذه العوامل هنا وانما نكتفى بالاشارة اليها داعين الى دراستها وتأملها بعد التنويه الى أهميتها ولكن يحسن مع ذلك القول بأن بعض علماء المسلمين قد أشار فى دراساته عن النفس والأعضاء الى مايمكن اعتباره بداية أو اسهاما فى وضع تصور شامل للعوامل التى تساعد على تفاوت الاستعدادات الذاتية لدى الانسان ومن ذلك ما ذكره

(١٨) حجة الله البالغة ج١ ص ٥٦ ، ٥٧ والى مثله أشار الامام الرازى فى رسائل فلسفية (كتاب الطب الروحانى) ص ٢١ ، ٢٢ ومثله فى الذريعة الي مكارم الشريعة للأصفهانى ص ٣٩ ٠

الامام الدهلوى (١٩) وهو يشير الى قوتى النفس وهما القوة الملكية والقوة البهيمية اذ قال : ان القوة الثانية «أى البهيمية» تخلق فى الناس متفاوتة من حيث القوة والضعف ، وان التدبير المحيط بالانسان من أكل وشرب وصحة وسقم ونحو ذلك وكذلك العادات والمألوفات كل ذلك يسهم فى تحديد درجة القوة البهيمية أو ضعفها أمام القوة الملكية ، ثم ذكر أن النفس الانسانية قد تنطلق من أسر البهيمية فتخطف من حيز الملأ الأعلى ما ييسر لها من هيئة النورانية ، كما قد تتأثر بالشياطين فتأخذ صفاتهم ٠

فقد جعل هذا الامام الجليل المأكل والمشرب والصحة والسقم والعادات ونحوها أمورا تساعد على اتجاه الميل ، وتعين أحد الاستعدادين حتى يظهر على الآخر فيسارع المرء الى أعمال الخير ويبطىء عن الأخرى أو يكون العكس ٠

وقريبا من ذلك ما أشار اليه الامام الغزالى اذ ذكر أن لدى الانسان قوتين تتصارعان هى قوة العقل وقوة الغضب والشهوة ، حيث تنزع القوة الأولى بالانسان الى الخير ، وتنزع به القوة الثانية الى غير ذلك ، وقد تنقاد قوة الشهوة والغضب لقوة العقل فيعينه ذلك على فعل الخير ، وقد تستعصى على الانقياد ، وعندئذ سيستعين العقل بأجناده ومنها العلم والحكمة والتفكير ، ويدور الصراع فان ترك العقل هذه

(١٩) حجة الله البالغة للامام الدهلوى ج١ ص ٢٦ ، ٢٧ ٠

الاستعانة ، وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا (٢٠) .

كما أشار آخرون الى بعض العيوب الجسدية باعتبارها عيوبا تبعث فى نفس صاحبها الشعور بالدونية ، والاحساس بالحقارة فتكون سببا فى جره الى سبيل الجريمة لمقاومة الشعور بالنقص لديه (٢١) وتجعل استعداده للانحراف أقوى من استعداده لحسن السلوك وهكذا .

قائمة المراجع

أولا : كتب التراث :

١ ـ القرطبى (٦٧١) هـ الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ، دار الكتاب العربى القاهرة ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٦٧ م .

٢ ـ أبو حيان (٧٥٤) هـ التفسير الكبير المسمى بالبحر الوسيط لأبى عبد الله محمد بن يوسف ابن حيان مكتبة النصر الحديثة ـ الرياض .

٣ ـ ابن كثير (٧٧٤) هـ تفسير ابن كثير لأبى الفداء اسماعيل بن كثير ، الطبعة الأولى دار الفكر ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م .

٤ ـ الشربينى (٩٧٧) هـ تفسير القرآن الكريم للامام

(٢٠) احياء علوم الدين ج٣ ص ٦ .

(٢١) نحيل من أراد الاستزادة الى كتاب على الشرفي ، المرجع السابق ص ١٠٠ وما بعدها .

محمد الخطيب الشربينى الطبعة الثانية دار المعرفة بيروت .

٥ ـ قطب (معاصر) فى ظلال القرآن ، الطبعة التاسعة دار الشروق ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م .

٦ ـ مسلم (٢٦١) صحيح مسلم للامام مسلم بن حجاج ـ مكتبة عيسى البابى الحلبى ـ القاهرة .

٧ ـ العسقلانى (٨٥٢) هـ فتح البارى بشرح صحيح البخارى للامام ابن حجر العسقلانى دار الريان الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧ م .

٨ ـ النووى (٦٧٦) صحيح مسلم بشرح النووى للامام أبى زكريا يحيى بن شرف النووى ، دار الريان، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م .

٩ ـ الأصفهانى (٥٠٢) الذريعة الى مكارم الشريعة لأبى القاسم الراغب الأصفهانى ـ الطبعة الأولى دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م .

١٠ ـ الغزالى (٥٠٥) احياء علوم الدين للامام أبى حامد الغزالى دار المعرفة بيروت ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

١١ ـ الدهلوى (١١٧٦) هـ حجة الله البالغة للامام أحمد بن عبد الرحمن الدهلوى دار المعرفة ـ بيروت .

١٢ ـ السخاوى (٩٠٢) المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للامام شمس الدين السخاوى ، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .

ثانيا : الكتب الحديثة :

١ ـ د٠ أحمد محمد خليفة ، مقدمة فى دراسة السلوك الاجرامى ج١ دار المعارف مصر ١٩٦٢ م ٠

٢ ـ د٠ جلال ثروت ، الظاهرة الاجرامية مؤسسة الثقافة الجامعية الأسكندرية ١٩٨٣ م ٠

٣ ـ د٠ حسنين ابراهيم عبيد ، الوجيز فى علم الاجرام دار النهضة العربية ـ القاهرة ٠

٤ ـ د٠ عبد الأحد جمال الدين ، الاتجاهات الانتروبولوجية فى تفسير الظاهرة الاجرامية ، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية ـ جامعة عين شمس السنة الحادية عشر العدد الثانى يوليو ١٩٦٩ م ٠

٥ ـ د٠ على حسن الشرفى الباعث وأثره فى المسئولية الجنائية الزهراء للاعلام العربى القاهرة ١٩٨٦ م ٠

٦ ـ د٠ عوض محمد ، مبادىء علم الاجرام ، ومؤسسة الثقافة الجامعية الاسكندرية ١٩٨٠ م ٠

٧ ـ د٠ فرويد ، معالم التحليل النفسى ترجمة الدكتور / محمد عثمان نجاتى ـ دار الشروق الطبعة الخامسة ١٩٨١ م ٠

٨ ـ د٠ محمد صفوت سليمان ، الطب الشرعى ، مجلة العدالة ـ الامارات السنة ٩ العدد ٣٣ أكتوبر ١٩٨٢ م ٠

٩ ـ د٠ محمود نجيب حسنى ، دروس فى علم الاجرام دار النهضة العربية ١٩٨٢ م ٠

١٠ ـ د٠ مصطفى فهمى ـ الدوافع النفسية ـ الطبعة الخامسة مكتبة مصر ١٩٦٨ م ٠